بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله ـ والصلاة والسلام على الرسول العربي الكريم : وبعد فهذه رسالة تاريخية شرحنا فيها باختصار ووضوح جهد الامكان : قصة الثقافة الطبية في ربوع الرافدين . يوم كانت بغداد جنة الدنيا ، ومحط العلم . ومجمع العلماء والدارسين . يفدون اليها من اقطاب الارض ، ويتجمعون فيها من اقاصي المعمور . ليحملوا الحضارة العالية من مهدها قوية رائعة تغمر وجه البشرية بالخير والجمال . وتنير قلبها بالعلم والعرفان .

ولقد بدأت في بغداد على عهد الخلافة العباسية مدنية رائعة قوية الاسباب . اخذت من علوم الاولين ارقى ما وصلوا اليه فصبته في القالب الجذاب المنتج الذي يميز الحضارة العربية وقدمته الى الاجيال التالية ارضا خصبة للزرع والانتاج . فكانت علاوة على اهميتها كوحدة تاريخية ذات شخصية ثابتة متميزة . حلقة الوصل بين العقل البشري في سحيق الاجيال المسعفة في القدم وبينه في هذه المدنية الحديثة التي حملتها اوربا . بعد ان حملها اجدادنا ردحا طويلا من الزمن كانوا فيها سادة الارض وحملة الثقافة وسدنة العلم والعرفان .

ومع اهمية تلك الفترة الرائعة من فترات الحضارة العالمية ، لم نجد من البحوث المتصلة ما يكشف عن نواحي النشاط العلمي المختلف الذي كون تلك الحضارة ، الا فيما يتصل بالادب وفروعه . ورغم ان هناك نتفا متفرقة هنا وهناك في بطون الكتب وغياهب الاسفار عن نواحي الحضارة الاخرى كالطب والهندسة والصيدلة والطبيعة . الا انها ليست في متناول الاكثرية من اهل الثقافة لتفرقها في عدد عديد من الكتب من جهة ، ولقلتها وبعد مصادرها عن المتناول من جهة اخرى ، ولانصراف المؤرخين والكتاب عن تدوينها وتتبع تطوراتها والاهتمام بترتيبها من جهة ثالثة .

ولذلك اصبح من الضروري ، والامر كذلك ، ان يلتفت الباحثون والمؤرخون الى تذليل تلك الصعوبات ، وتدوين ذلك التاريخ الباهر المشرق ، وتتبعه في مظانه الاكيدة ، البعيدة عن الزيف والشكوك ، ايفاءً بحق الاجداد ، وتسهيلا للابناء على الاطلاع الكامل على آثارهم الخالدة ومدنيتهم الرائعة ، وشحذا للعزائم ، وتقوية للشعور ، واذكاءً للهمة ، وخدمة للقومية العربية المجيدة .

ولقد تلقتنا حولنا ، وهذه الحقائق تحفزنا ، فلم نجد تاريخا سهل المتناول متصل المناحي عن سير الثقافة الطبية الرائعة في هذه الربوع التي كانت رأس البلاد العربية وسيدتها وقائدتها الى المجد ، فبدأنا بكتابته خدمة للجماعة العزيزة من شبابنا المثقف الذين تخرجهم كليتنا الطبية ، ليحملوا لواء الطب ، وليصلوا ماضي نبوغهم بحاضره ؛ فشرحنا الادوار التي مرت فيها الثقافة الطبية منذ قيام المدرسة الطبية العباسية في بغداد على غرار مدرسة جندي‌سابور بعد ان انتقل اساتذتها وعلماؤها الى بغداد بعناية الخلفاء ، ثم ترجمنا لاشهر الاطباء والمترجمين العرب من الذين اقمرا اساس الطب في العراق ، ونوهنا بحرص الخلفاء على اكتساب العلماء ، وتشجيع العلم ، وبث الحضارة ؛ وذكرنا اهم البيمارستانات التي اسست في زمن العباسيين بحسب الترتيب التاريخي الذي تقسم اليه الخلافة العباسية في ربوع الرافدين كبيمارستان هرون الرشيد والبيمارستان العضدي ؛ ثم اتينا الى نكبة الحضارة العربية على يد المغول ، والخمول الذي حل بها في العصر المظلم ، ثم استطرقنا الى الثقافة الطبية في العهد التركي الاخير يوم كانت البلاد العربية ايالات تابعة لمقر الخلافة في الاستانة ، فذكرنا المدارس العثمانية التي تخرج منها اكثر الاطباء العراقيين الذين رجعوا الى بلادهم فاسسوا هذا الكيان الصحي الموجود اليوم ، ونشرنا صورا تاريخية فريدة لهم ولبعض ما يتصل بالموضوع ، ثم اتينا على الحالة الصحية في العراق قبل الحرب العامة ، ثم على عهد الاحتلال ، ومن ثم على عهد الحكم الوطني ، ثم بحثنا باسهاب عن نشوء المستشفيات والمعاهد الصحية العراقية وتوحيدها ، ثم عن تأسيس الكلية الطبية الملكية وتقدمها وتدرجها في الرقي سنة بعد اخرى وتتبعها حتى اليوم . وبهذا انتهينا بذكر الكلية الطبية كما بدأنا بذكر مدرسة بغداد الطبية التي قامت في العهد العباسي .

تلك رؤوس الابحاث التي شرحناها في هذه الرسالة ؛ متوخين في ذلك الدقة التاريخية ، والامانة التامة في تتبع المراجع والاشارة اليها في هوامش الصفحات ، والابتعاد عن الشبهات المبثوثة في كتب التاريخ . ولسنا ندعي الكمال في ذلك كله ، للصعوبات الخطيرة التي شرحناها في صدر هذا الكلام : وعذرنا فيما يكون قد وقعنا فيه من اخطاء ، ان وجدت ، النية الصادقة والجهد الذي بذلناه في تتبع المراجع والاعتماد على اصدق الروايات .

ولا بد لنا ان نشير بالشكر الى المعلومات التي زودنا بها عند كتابة بعض اقسام التاريخ الطبي العراقي قبيل الحرب العامة من قبل الدكتور المحقق الاستاذ داود الجلبي والدكتور الفاضل نورالله والشيخ نورالدين الشيرواني والسيد محمد درويش الالوسي وسائر مشايخنا الكرام الذين اخذنا عنهم بعض المعلومات القيمة عن مستشفيات العهد العثماني . ثم لا يسعنا الا الاعتراف بالفضل لمديرية الصحة العامة وللكلية الطبية الملكية العراقية على عنايتهما المشكورة باخراج هذه الرسالة بهذا الثوب الانيق .

ونحن نرجو ان نكون قد قمنا بقسط ضئيل من الواجب الذي يثقل كاهلنا نحو كليتنا الطبية المحبوبة ؛ بجمع ما كاد يعبث به الزمن من اخبار الاولين وتاريخ نشوء المصلحة الصحية وتطورها وتكون موئساتها مما يجب ان يثبت في رسالة تكون مرجعا امينا لطلاب كليتنا وخريجيها . سائلين المولى عز وجل ان تكون هذه الرسالة نواة لرسائل اخرى اكثر تركيزا في المادة ، واوفى في البحث والتعقيب ، واكفل توجيها للغاية ، مكتفين بما قد نثير من روح البحث العلمي التاريخي في زملائنا من طلبة وخريجي الكلية الطبية الملكية ، والله الموفق الى سبيل الرشاد .

هاشم الوتري

معمر هاشم الشابندر